5- تباين مستويات الخطاب في قصيدة نقطة شعر

للشاعر السوداني جهاد جمال

الدكتورة رفيقة بن رجب /أستاذة النقد والبلاغة بالجامعة الأهلية/ مملكة البحرين

reefbinrajab@yahoo.com

تلخيص مقال تباين مستويات الخطاب:

في هذه الدراسة التحليلية الذاتية اعتمدت استقطاب الخطاب المفتوح للوصول إلى هاجس المستوى الفكري لهوية الشاعر واستكمال البنية الدلالية التي اعتمدها في هذا النص الذي اخترته للتحليل ولتطبيق بعض المفاهيم الأيديولوجية.

والشاعر الذي اخترته هو جهاد جمال والحاصل على جائزة الاتحاد العام للأدباء عام 2000 بالإضافة إلى جوائز أخرى وقصيدته بعنوان نقطة شعر.

وفي هذا النص وباختصار شديد يمثل الشاعر صخب الحياة وتداعياتها المتماهية مع نقلات ومحطات نوعية جابها وخرج من خلال كل ذلك عن ثوابت التقييد متجاوزا إلى قضايا أخرى عمقت من مستوى المقروء حتى أصبح قادرا على أداء وظيفته الميتافيزيقية بنجاح.

Summary of the article "diversity in discourse"

In this private analytical study, I relied on drawing attention to open discourse to understand the ideational level of the poet's identity and complete the semantic structure adopted by the poet in the text I have chosen. Also to undertake analysis of the text and apply some ideological concepts. For this purpose, I have selected a work by the poet Jihad Jamal, who won the prize of the General Union of Litterateurs 2000, in addition to winning various other awards. The said text is a poem by him entitled "a point in poetry".

In the poem, the writer briefly represents life's turmoil and collapse while transitioning and exploring quality points in life. With such an approach, he was able to leave limitations behind and deal with other matters that became intensified on a reading level. He was therefore able to fulfill his metaphysical functionsuccessfully.

نقطة شعر
للشاعر السوداني جهاد جمال

ككلّ صبـاحٍ
أفيقُ على رغبةٍ في البكاء
أستعين بأغنيةٍ من غبار التمني
فتعصفُ بي ذكرياتُ اللقاءْ
أحقًا لقيتكِ قبل الوجودِ الذي ندَّعيه؟
أم الحبُّ أدركَ أرواحنا في السماءْ؟
سَمّهِ ما أردتِ
ولكنني مُذ عرفتُ التمحورَ حولَ القصيدةِ
كنتِ المضيئةَ في كل حزن
فأنتِ المعاني التي لا تطيقُ حقيقتها لغةٌ
تستعينُ بغيرِ سماحتها للنداء
فكوني الحبيبةَ
كوني القصيدةَ
شيئًا سيوقظِني من طنينِ التوقعِ يومًا
ويرسمنا في أديم البقاءْ
وأهفو إلى مُقلتيها أنادي
ويعلقُ في الارتدادِ الندا
يمزقني في التمني التمادي
ويسخرُ من وقعِ خطوي المدى
يغازُلني طيفها (يا ودادي)
ويدبر يصفعني بالرَّدى
يسودُّ صوتي ويصبو مُرادي

كذا أثقلتني بحبٍّ بدا
ولذَّت لها لهفتي بابتعادي
كأن الأفولَ غدا سرمدا
حاصرتني الظنونُ فصارت بلادي
وأخيلةٌ ما لها مفرده

وأشتاق أن يصطفيني الزمانُ
وآتيكِ طوعًا كما تشتهين
وأحتاجكِ الآن
روحًا تدُّب على عصبي المستباحِ لكل الجراح
ويحتاجكِ الضوءُ كي ما ينير
وتحتاجكِ الآنُ والحبُّ والكونُ
أحتاجكِ الآنَ
كوني
تَجنحُني الأغنياتُ إليكِ
وتفقدُ الروحُ للروحِ
ترقبها لا تجيء
فترقبها لا تجيء
وترقبها وتطير
على صهوةِ اللفظِ جاءت
تغردُ أنشودةَ الياسمين
كأن الغناءَ اشتهاها
فأوحى إلى الشعر أن
(غنها
إنها مشتهى الحالمين

مدى سابحٌ في الهديلِ)

فيجدلُ من ضوءها للمساءِ ضفيرةَ شوقٍ ندٍي حنين

إنها النيرة التشتهيكَ

فقف عندها وامتثل

إنها أنبلُ الخائنين

صداكَ هو الأنتَ في رؤية السامعين

فغني الأسى

رغم قهر الأذى

إذ بإيقاع نوْحكَ هم راقصون

كم يعاودُني الحزنُ مبتهجًا

يراني وحيدًا بلا أشرعه

مقلتي خيطُ حرفٍ يحيكُ بحاري

يجوبُ الأغاني بلا أمتعه

لا المكانُ استطالَ إلى لهفتي

لا الزمانُ اكتفى لا المنى أسْمَعَ

إنني الشعراءُ إذا ما بكيتُ

وقافيتي لليرى مصرَعا

كل أسئلتي أشبهٌ كالمدى

كل أجنحتي أصبحت إصبعا

ملمسي خطو نملٍ، وكل الفراشِ

شذى لهفتي الذبلتْ يانعه

– ها تعالوا إليَّ – تغني الهواجسُ

يعوي اللظى داخلي موجعا

ليتَ هذى الرؤى تنتهي كلها

ليتَ ظِلي يزولُ و (ليت) ي معه

إنني الراحلون على خاطري

نحو نقطة شعرٍ بهذي السعه

1- تباين مستويات الخطاب

ربما يكون هذا المحور قادرا على استقطاب الخطاب المفتوح الذي يجعلني أتعمق في هاجس المستوى الفكري الذي يشكل هوية الشاعر للوصول بنا إلى خبايا النفس واستكناه مرامي الشعر السوداني الخفية عن الكثيرين وذلك باستجلاء ملامح بنيته الدلالية التي سوف تتقاطع أمامها مجموعة من الملابسات والآليات.

الشاعر هو جهاد جمال شاعر من مواليد 1980 ميلادية وهو عضو في الاتحاد العام للأدباء والكتاب وحاصل على جائزة الاتحاد العام للأدباء عام 2000 ميلادية إضافة إلى أوسمة أخرى لا داعي لذكرها لوجودها كاملة في الموسوعة.

2- التحليل عبر محور المداخلة

عنوان النص هو (نقطة شعر) و يقول فيها:-

ككل صباح

أفيق على رغبة في البكاء

أستعين بأغنية من غبار التمني

فتعصف بي ذكريات اللقاء

الدراسة النقدية هنا اشتملت على شحنة من الأفق المترامي الأطراف والذي يصور فيه صاحبه مواجهة صخب الحياة بجملة من المفردات التي توصل بها الشاعر إلى مستوى المثاقفة والإبداع، وأدخله إلى منظومة الرفاه الحضاري المدهش والذي كسر به جدار الرتابة وقفز به إلى نمط التفاعل التركيبي التأويلي لاستجلاء المخفي وراء الكلمات المتمثلة في جهازه المعرفي.

وهذا يؤكد على تباين مستويات الخطاب خاصه في قوله :

أستعين بأغنية من غبار التمني فتعصف بي ذكريات اللقاء.

وهذا ليس التمني الحقيقي بل هو غبار لهذا التمني الذي تجسده ذكريات اللقاء العاصفة.

وهناك جملة من الأساليب الإنشائية التي تقف حائرة بين اللقاء المبكر وعدمه. ويحسمها الشاعر بقوله: سمه ما أردت.

هو لم يعرف بدقة العاشق ما معنى هذا التمحور الذي يحمل صيغة التحدي والعناد .

أجد هنا استقطاب الخطاب المفتوح الذي يتجاوز به سديم الرؤيا المعتمة من خلال التراكيب الجديدة القادرة على حل اللغز بين اللقاء وعدمه.

فكوني الحبيبية

كوني القصيدة

شيئا سيوقظني من طنين التوقع يوما

ويوسمنا في أديم البقاء.

يطل علينا هنا عالم الحلم الواسع الذي تتدفق فيه الانفعالات المسكوت عنها دون توجس فالحبيبة هي القصيدة والعكس هو الصحيح.

فطنين التوقع يمتد عبر الزمان ليظهر لنا في ثنايا القصيدة الذي يجسد انعكاس الفكر الأيديولوجي بطاقته الإبداعية المتماهية مع مفتاح الخطاب التخييلي أولا وإرساء المنجز الفني الذي يمثل عمق التجربة وعناء الذات لاستحضار سمو يستجلي ملامح البنية الخطابية الموسومة في أديم البقاء ثانيا.

مفردات تظهر فيها تلك المستويات التي بني عليها محور التحليل حيث باتت واضحة تشير إلى زوايا يناجي معها الروح الهائمه في هذا الحب المتمثل في شموخه اللامتناهي والمتضمن الرؤية الجدلية التي تؤكد على التقاسيم الخفيه المتوازنة مع فنتازيا هذا الحب العميق في قوله:

وأهفو إلى مقلتيها أنادي

ويعلق في الإرتداد الندا

يمزقني في التمني التمادي

ويسخر من وقع خطوي المدى

ينازلني طيفها ياودادي

تختزن في هذه الفقرة كنوزا من المفردات التي تقارن بين الأنا والآخر بينه وبين محبوبته ممزوجة بسلسله من المجازات غير المهترئة ذات التقنيات المحبوكة بشكل تصويري رائع ساهم في تثبيت الموقف العاطفي طبقا للأنساق القرائية التي يحاكي بها النبض والإحساس في تزاوج تصاعدي يقرع به القلوب قبل الآذان ويساهم في تمزيق صيغة التمني تارة وسخرية المدى تارة أخرى وبين مغازلة الطيف حينا ووصف الردى حينا آخر.

هذه تراكيب تشهد لصاحبها بتألق إيجابي وتزاوج بين البني الداخلية بقوة يتخطى بها كل المضامير المستحيلة ليكون الحب لديه رديفا للعذابات المتوقعة حيث غدا الأفول لديه سرمدا وغدت الظنون هي البلاد في قوله

كأن الأفول غدا سرمدا

حاصرتني الظنون فصارت بلادي

وأخيلة مالها مفردة

إن الدلالات اللغوية المحاطة بسياج المباني هنا تعزز الفرضيات المطروحة بين المضمر والمفصح عنه دون الاندفاع إلى قعر المجهول، فالعلاقة شائكة بين زمان ومكان باتا مبهمين رغم اشتياقه إليهما وذلك في قوله:

وأشتاق أن يصطفيني الزمان

وآتيك طوعا كما تشتهين

وأحتاجك الآن

روحا تدب علي عصبي المستباح لكل الجراح.

علاقات استفزازية مخبأة في تلك الآليات التي توحي بديمومة النفس رغم الجراحات التي تستوعب أكثر الأنواع الخطابية تواترا تحكمها دائرة التأمل الجمالي الذي يخترق أفق المتلقي في تلك الإنزياحات المتحررة من الفكر التقعيدي.

ويحتاجك الضوء كيما ينير

وتحتاجك اللغة الاستعارة

يحتاجك الآن والحب والكون

أحتاجك الآن

سلسلة من الاحتياجات الغرائبية التي تستحضر معها الضوء واللغة والاستعارة والحب والكون في ضمير ذلك الاحتياج الذي أبرز الحقول المعرفية ولكن تحت شعار الوظيفة الرمزية المؤطرة بالإيقاع النسقي عبر المساحة الصوتية المتاحة لتسجيل تجليات الموقف الشعوري الذي سوف يتضح في الأبيات التالية:

تفتقد الروح للروح

ترقبها لا يجيء

فترقبها لا يجيء

وترقبها وتطير

على صهوة اللفظ جاءت

تغرد أنشودة الياسمين

كأن الغناء اشتهاها

تراكيب إيجابية وأحاسيس نبيلة باتت لدى الشاعر قضية دالة ذات مشاعر ساعدت على خلق تعالقات تحمل في معانيها أروع المضامين للإرتقاء إلى عوالم تعزف بألفاظها أجمل الألحان.

(تفتقد الروح للروح) عبارة تعكس وفاء ممتدا وطاقة تعبيرية مفعمة بالتصوير المجسد بتلك المجازات التي باتت تعطي رمقا متفردا يكشف عن شعرية اللغة من جهة ومقصدية الخطاب المتزامن مع بواعث إنتاج الصوره المستلهمة من الروح التي لا تجيء لأنها طارت على صهوة اللفظ من جهة أخرى.

وهنا أسجل إعجابي كمتخصصة في النقد والبلاغة بهذه المجازات التي باتت تؤسس لثقافه مضمون المجاز الابتكاري بكل أبعاده الحجاجية طبقا للتحولات والثيمات الإنعكاسية التي تتغير من نص لآخر ومن أسلوب لآخر كالتشبيه في قوله (كأن الغناء اشتهاني) وهذا تأكيد على توثيق الصوره المرتبطة بأدبيات الخطاب الإبداعي الذي يزاوج بين مستويين في الكلام مستوى المعنى ومستوى معنى المعنى كما أشار إليه العلامة البلاغي الكبير شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة.

إن نسيج المتن الشعري القائم على التجربة الشعورية التي يمارسها الشاعر على ذاته أثناء البوح الشعري الراقي لتحقيق جماليات زوايا النبض لا شك تقيم جسرا متينا وحميميا بين الباث والمتلقي لفتح المجال أمام القراءات التأويلية للوصول إلى أيقونة الإبداع بكل الفرضيات التي تعزز من علامات الحضور والغياب في النص.

وهذا كله يشكل بعدا قارا متباين الرؤى متشعب الأنساق قادرا على توليد جملة من الرومانسيات التي تتبثق من الهدوء النفسي رغم نغمة الحزن المثيره للشجون ومعاودة الأذى والأسى في قوله:

كم يعاودني الحزن مبتهجا

إذ يراني وحيدا بلا أشرعة

مقلتي خيط حرف

يجوب الأغاني بلا أمتعة

لا المكان استطال إلى لهفتي

لا الزمان اكتفى ..لا المنى استمع

إنني الشعراء إذا ما بكيت

مفارقات غريبة في رؤية الحزن مبتهجا فهو يتقن الانسجام بين الأضداد برفق وتواشج دون الخروج عن منطق الواقع المعيش بين المحبين أو محاولة تهشيم الصورة التي تجعل من مقلتيه خيط حرف يجوب الأغاني ولكن بلا أمتعه.

هنا تبرز وبوضوح القضايا المجازية غير المبتذلة مرة أخرى في الاستعاره المكنيه التي تشخص الحزن وتجعل منه إنسانا مبتهجا وتشبيه المقلة بالخيط الرفيع وتجسيده لها بشخص مسافر يجوب الطرقات ولكن للأسف بلا أمتعه.

كل هذه الصور وسواها أعطت للنص رواقا ومساحة تحديثية ساهمت في إضافة معطيات غريبة لامس فيها الشاعر ملكات الإبداع وتجاوز التقاطعات الكلامية العاديه إلى غير المألوفة.

ومن ثم ينتقل إلى مغازلة الأمكنة والأزمنة بشكل تركيبي غامض يعكس عدة قضايا قابعة في النفس المتألمة القادرة على تسجيل الحضور الذي بات يعمق من مستوى المقروء لكي يؤدي وظيفته الميتافيزيقية بنجاح يتناسب مع ثقافة الشاعر التي يستمدها من معجمه الثرى بأبعاده التي استقطب بها جمهور المتلقين لأنه قد تجاوز بإبداعاته وصوره المناوشات السطحية إلى المستويات العميقة دون شطط بتباين المستويات الخطابية.

وربما تبدو صور التشبيه في قمة روعتها في قوله (إنني الشعراء) فهذا تشبيه ليس عاديا على الإطلاق لأنه أعطى لنفسه مساحة من الفنتازيا التخيلية الأنيقة ذات السحر المتجدد بمراوحة مدهشة بين الأزمنة والأمكنة والتي أشار إليها بقوله لا المكان استطال ولا الزمان اكتفى.

ويختتم أبياته بأسلوب فيه من الأسى الكثير فيقول:

ها تعالوا إلي تغني الهواجس

يعوي اللظى داخلي موجعا

ليت هذه الرؤى تنتهي كلها

ليت ظل يزول وليتي معه

إنني الراحلون على خاطري

نحوه نقطة شعر بهذي السعة

الشاعر هنا متشائم من الوضع بشكل عام إذ تتوحد لديه الأوصاف الانطباعية وكأنما يقصد إلى مقارعة الخطاب بالخطاب قصدا للتباين وتنشيط الذاكرة وإيصالها للآخرين رغم أنه يتمنى أن يزول ظله بل كله، فساعة الرحيل قد قربت

فهو بهذا يفصح عن الوظائف الإبداعية ويكشف لنا عن اختلاف مستويات الخطاب طبقا للموقف المتراكب الأوجه والمتناغم الاهواء وهذا وحسب منظوري أضاف للنص بعدا براجماتيا هادفا.

أما تداعيات النقلات النوعية فهي خروج عن ثوابت التقيد لتبدو الموازنة هلامية وموجودة فقط في أعماقه.